المرحلة الثانية **د اياد عايش محمد**

المحاضرة الثامنة - الفصل الدراسي الثاني – تاريخ البلاد العربية الحديث :

اتجاهات حركة النهضة الحديثة في المشرق العربي :

نشأة الحركة العربية القومية :

كانت جمعية بيروت السرية سنة ١٨٧٦ أول جهد منظم في الحركة السياسية العربية ، فقد بدأت بلصق المنشورات التي تندد بمساوئ الحكم العثماني وتدعو لى الثورة ووضعت أول بيان محدد عن منهاج العرب السياسي ، لكنها توقفت بسبب حملات القمع الحكومية بين سنتي ١٨٨٢ م و١٨٨٣ ، وانتقل أبرز مؤسسيها فارس نمر ، وشاهين مكاريوس ويعقوب صروف ، إلى القاهرة سنة ١٨٨٥ ليؤسسوا هناك جريدة سياسية يومية هي جريدة المقطم ومجلة فكرية باسم المقتطف ، وليتابعوا من خلالها الدعوة إلى محاربة الظلم والاستبداد التركيين والعمل على تأليف جبهة عربية موحدة (من المسلمين والمسيحيين) تقوم على فكرة العروبة وتستطيع الوقوف في وجه الأتراك كما تكونت في دمشق حلقة سياسية سرية باسم حلقة دمشق الصغيرة في دار الشيخ طاهر الجزائري ١٨٥٢ – ١٩٢٠ وذلك سنة ١٩٠٣ ، وكان لولب هذه الحلقة محب الدين الخطيب ومن أعضائها البارزين عارف الشهابي وعثمان مردم ولطفي الحفار وصالح قنباز وصلاح الدين القاسمي .

إن الطروحات السرية لهذه الحلقة تسجل خطوة مهمة على طريق توسيع اهتمام الشيخ طاهر الجزائري الثقافية لتأخذ طابعا سياسيا وذلك باتجاه الدعوة لمنهاج سياسي يقضي بمطالبة الدولة العثمانية باتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنح العرب حقوقهم المشروعة ، وقد حققت الحلقة بعض الاتصالات مع شباب بيروت ، ومنهم عارف النكدي وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني والأمير عادل أرسلان وغيرهم ممن ستبرز أسمائهم أعضاءا في الجمعيات العربية القومية التي تشكلت قبيل العرب العالمية الأولى ، وفي سنة ١٩٠٥ انتقل معظم أعضاء حلقة دمشق إلى استانبول فألفوا هناك جمعية النهضة العربية التي قامت بدور كبير في بث الوعي القومي

وتوقفت عن العمل قبل إعلان الدستور ، وبعده تطورت الاتجاهات الفكرية وقويت بشكل خاص ونما الوعي القومي من ممجد مشاعر وأحاسيس تجيش في صدور الأحرار من العرب إلى الحركة منظمة لها أنصارها ومناهجها السياسية ، ومما زاد في بلورة النواحي التنظيمية في الحركة العربية التطورات التي حدثت في الدولة العثمانية وكان من أبرزها الانقلاب العثماني لسنة ١٩٠٨م .

إن الانقلاب العثماني الذي تم في ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ قامت به مجموعة من الضباط تنتمي إلى جمعية الاتحاد والترقي وعلى رأسها أنور ونيازي ، وقد تمخضت العملية الانقلابية عن تظاهر السلطان عبد الحميد باستجابته لمطالب الانقلابيين بإعادة دستور سنة ١٨٧٦ المعطل منذ سنة ١٨٧٧ والسير بموجب شعارات الحرية والعدالة والمساواة ، وسرت من جراء ذلك موجة من الفرح والابتهاج في معظم أرجاء الدولة العثمانية أملا في بداية عهد جديد تترجم فيه شعارات الاتحاديين إلى واقع ملموس ، وقد نشط الاتحاديون في الدعاية لمبادئهم عن طريق التوعية السياسية وتمثلت هذه بمختلف فروع جمعية الاتحاد والترقي التي افتتحت في شتى الدولة العثمانية كما استعانت الجمعية بالصحف والمجلات لنشر أهدافها السياسية ، وعمدت كذلك إلى فتح النوادي والمدارس وعينت لها معلمين ودعاة من بين أعضائها يلقنون الطلاب أهداف ومبادئ الاتحاديين .

نشرت جمعية الاتحاد والترقي برنامجها السياسي في أواخر أيلول سنة ١٩٠٩ وقد نص على ان تدار الولايات على أصول توسيع المأذونية أي الصلاحيات التي نصت عليها المادة (١٠٨) من الدستور ، مع مواصلة السعي في تقوية عرى الاتحاد والإخاء بين العناصر العثمانية ، على ان تبقى اللغة التركية هي اللغة الرسمية وتتبع الدولة سياسة تعليمية ترمي إلى تربية النشء العثماني تربية موحدة والى فتح مدارس تضم عناصر الدولة المختلفة في تعليم مشترك للوصول إلى التربية الموحدة .

مال الأحرار من العرب وغيرهم في استانبول في تلك الفترة إلى تشكيل جمعيات تساند جمعية الاتحاد والترقي في سبيل المحافظة على أحكام الدستور وجمع

كلمة العناصر العثمانية المختلفة ، وكان رئيسها صادق باشا العظم ، ضابطا سابقا في الجيش العثماني ومن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، وقد عاش في المهجر مضطهدا من السلطان عبد الحميد ، وعاد إلى استانبول بعد الانقلاب .

بالرغم من الجهود التي بذلها الزعماء العرب المعروفون آنذاك ، ومنهم عبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوي ، ورفيق العظم ، ورشدي الشمعة ، لكي يظهروا إخلاصهم وتعاونهم مع الاتحاديين إلا إن بوادر الخلاف سرعان ما بدأت تلوح بالأفق ، خاصة بعد أن ظهرت بعض المقالات في الصحف الموالية للاتحاديين تهاجم العرب وتتحامل ضدهم ، وبدلا من أن يحقق الاتحاديين للعرب مطامحهم المشروعة في تحسين أوضاع الولايات العربية وتشجيع التعليم باللغة العربية ، فإنهم اتجهوا نحو تطبيق مركزية شديدة ، واعتمدوا سياسة التتريك وتمجيد النعرة الطورانية واستخدموا لتحقيق ذلك الإرهاب ، خاصة بعد أن قمعوا الثورة الرجعية التي حدثت في ١٣ نيسان سنة ١٩٠٩م ، وخلع السلطان عبد الحميد على أثرها ونصب محله أخاه الأصغر محمد رشاد ، وقد ألغيت الجمعيات ومن ضمنها جمعية الإخاء العربي العثماني .

لجأ المثقفون الأحرار من العرب إزاء تلك السياسة القمعية إلى تأسيس النوادي والجمعيات التي ظاهرها ثقافي ، وباطنها سياسي .

ولعل من أبرز هذه النوادي " المنتدى الأدبي " باستانبول الذي أسسه جماعة من الموظفين والنواب والأدباء والطلاب في صيف سنة ١٩٠٩ ليكون مركزا لإلقاء المحاضرات والأبحاث العلمية وتقديم المسرحيات والروايات العربية والاستفادة من ريعها في تمشية أمور المنتدى ، وقد أصدر المنتدى مجلة أدبية باسم " لسان العرب " وسرعان ما أصبح المنتدى ملتقى العرب يتناقشون فيه ويبحثون في شتى المواضيع التي تهم مستقبل بلادهم ، وكان من مؤسسيه عبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوي ورفيق رزق سلوم وصالح حيدر ، وجميل الحسني ويوسف مخيبر ، وسيف الدين الخطيب وشفيق العظم ، ورفيق العظم ، ورشيد رضا ورضا صالح وطالب النقيب وعزيز علي المصري وندرة ونخلة المطران ، وعزة الجندي

ورشدي الشمعة وبلغ أعضاؤه الوفا ، كانوا بأغلبيتهم من الطلاب ، وصارت له فروع عديدة في سوريا والعراق ولبنان ، وظل المنتدى يعمل حتى سنة ١٩٠٥ حين أغلقته السلطات الاتحادية ، وقد تعرض عدد من أعضائه للإعدام في سنتي ١٩١٥ و١٩١٦ بسبب نشاطهم القومي ، ومن هؤلاء عبد الحميد الزهراوي وشفيق العظم ورفيق رزق سلوم وعبد الكريم الخليل ورشدي الشمعة وصالح حيدر وسيف الدين الخطيب وعزة الجندي وندرة مطران ونخلة مطران ، وقد يكون من المناسب الإشارة إلى ان شبان المنتدى الأدبي رفعوا لأول مرة بين سنتي ١٩٠٩ – ١٩١١ العلم العربي القومي الذي يتألف من مثلث أحمر اللون تلتصق به ثلاثة ألوان أفقية متوازية هي الأسود ويرمز للدولة العباسية من فوق ثم الأخضر ويرمز للدولة الفاطمية ثم الابيض ويرمز للدولة الأموية ، أما اللون الأحمر فهو رمز راية الأشراف في الحجاز ، وهذا العلم بالذات هو الذي رفعه الشريف حسين أبان ثورته على الاتراك سنة ١٩١٦ ويرفعه الفلسطينيون اليوم .

لقد خابت آمال العرب وضعفت ثقتهم بالاتحاديين ، وقد دلت انتخابات أول مجلس للمبعوثان ، بعد إعلان الدستور سنة ١٠٩٠٨ على سيطرة أعضاء جمعية الاتحاد والترقي عليها بطريقة وتسمح لهم أو لمؤيديهم أن يشكلوا أكثرية برلمانية كما ان تمثيل العناصر غير التركية كان يقل كثيرا عن تمثيل العناصر التركية ، فالترك مثلا لم يكونوا أكثر الأجناس عددا في الدولة وكان العرب في الواقع يفوقونهم عددا بنسبة ٣ – ٢ وعلى هذا فقد كان مجموع أعضاء مجلس المبعوثان ٢٤٥ مبعوثا ، مثل الأتراك ١٥٠ مبعوثا ومثل العرب ٦٠ مبعوثا ، أي كان الترك متفوقين بنسبة ٥ – ٢ على رأي جورج انطونيوس ، وكان ليبير يعتقد العكس من ذلك ، بأن هناك تمثيلا عادلا لكل القوميات فالمجلس مؤلف من ٢٦٠ مبعوثا من بينهم حوالي ١٢٠ تركي و ٧٢ عربي و٢٠ كردي والبقية من عناصر الدولة العثمانية الاخرى ، وثمة إحصائية أخرى تذكر أن المجلس ضم ٢٨٨ مبعوثا منهم ١٤٧ مبعوثا يمثلون الأتراك و ٦٠ مبعوثا يمثلون العرب .

لـيس هنـا مجـال لمناقشـة هـذه الاحصـائيات المتضـاربة وذلـك لعـدم تـوفر الاحصائيات الدقيقة لمجموع السكان في الدولة العثمانية ترجع إلى سنة ١٩٠٨ وفبها ان المجموع لا يتجاوز الـ٢٢ مليونـا من بينهم ٧.٥ من الأتراك و ١٠.٥ من العرب والبقية من العناصر الأخرى .

حـاول بعـض المبعـوثين العـرب تشـكيل كتلـة برلمانيـة باسـم الحـزب العربـي ووسمت لهذا الحزب بضعة أهداف أبرزها طلب المساواة الحقيقية مع سائر العناصر ، وجعل اللغـة العربيـة لغـة التعليم فـي المـدارس الابتدائيـة والثانويـة ورعايـة حقـوق المـواطنين فـي الولايـات العربيـة وتعيـين المـوظفين فـي الأقطـار العربيـة مـن الـذين يتكلمون العربية وقد ساهم مبعوثا لواء الموصل داود يوسفاني ومحمد علي فاضل مع شـفيق المؤيـد مبعـوث دمشـق وعبـد المهـدي قاسـم مبعـوث كـربلاء وشـكري العسـلي مبعوث دمشق وعبد الحميد الزهراوي مبعوث حماة وغيرهم من أجل العمل على إخراج هذه الفكرة إلـى حيز التنفيذ ، وقد عهد إلـى عبد الحميد الزهراوي وشكري العسـلي بوضـع نظـام داخلـي لهـذا الحـزب لتقديمـه إلـى رئاسـة مجلـس المبعوثـان والحكومة على أن يباشر بافتتاح الفروع والأندية في العاصمة والولايات العربية بعد التصـديق عليـه مباشـرة ، ولكـن النـواب العـرب لـم يسـتمروا فـي مسـاعيهم بعـد ذلـك وعدلوا فكرتهم في اللحظات الأخيرة وفضلوا البقاء ضمن الحزب الحر المعتدل الذي تألف في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٠٩ م .

وقد أعلن الحزب المذكور بأنـه سيعمل علـى استصـدار قـانون للولايـات بـاقرب وقـت مسـتطاع يكـون مـن شـأنه أن يـؤمن تطبيـق قاعـدة " توسـيع المأذونيـة وتفريـق الوظائف " حسبما نص عليه الدستور ، كما سيبذل جهده لكي يؤمن للمجلس الإداري لكل ولاية حق الإدارة والإشراف على الشؤون العامة للولاية ، وكان من أعضاء هذا الحزب كل من داوود يوسفاني مبعوث الموصل الذي تولى إدارة جريدة الحزب " تنظيمات " سنة ١٩١١ م ونـافع الجـابري مبعوث حلب ، وسليمان البستاني الرئيس الثـاني لمجلـس المبعوثـان ورضـا الصـلح مبعوث بيروت الذي أشرف علـى إصـدار جريدة الحزب الأخرى " إصـلاحات " . أمـا سبب عدول النـواب العرب عن تشكيل

الحـزب العربـي ، فيرجـع إلـى اعتقـادهم بـان وجـودهم داخـل الحـزب الحـر المعتـدل سيعمل علـى زيـادة قـوة المعارضـة للاتحـاديين وعـدم بعثرتهـا ، إلا أن الحـزب الحـر المعتـدل سرعان مـا ذبـل وانحـل بعد فتـرة قصـيرة وذلك بعـد تأسيس جمعيـة الحريـة والائتلاف في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١١ م دون الاتيان بعمل يذكر .